

الأداء الخطابي الناجح أو الفعّال

بقلم الأستاذ: عبد الكريم جوان

تتوافق مع المحرضات النفسية والعقلية في جمهور السامعين.

ولا نختلف إذا قلت أن الخطاب المسجدي موجه لطوائف عديدة ولأناس ذوي أعمار غير متجانسة وبمستويات مختلفة ومتباينة في المجال الثقافي والمعرفي والمستوى الإدراكي مما يتطلب اختيار منهجية خاصة، ولغة مشتركة وبسيطة وأسلوب توجيهي متنوع.

كما يتطلب الأمر اختيار موضوعات تتصل باهتمامات الناس كلهم صغيّرهم وكبيرهم، عالمهم، وجاهليهم وتمن كل فئة من فئات المجتمع بمعالجة الانحرافات والإختلالات التي تلاحظ في أوساط المجتمع الذي يمثلونه.

وتجدر الإشارة هنا إلى نقطة أساسية أو لنقل معادلة. فإذا اعتمد

الخطاية فن من فنون القول، يخاطب به الجمهور، ويتجه إلى الإقناع والاستمالة عن طريق السمع والبصر معا. فالقدرة على النظر في كل ما يؤدي إلى الإقناع أساس هذا الفن. وما الإقناع إلا صرف أذهان الجمهور إلى تقبل ما يقال والسكون إليه وإشباع عواطفه وإرضاء عقولهم بالحجة والبرهان، وما الاستمالة إلا كسب تأييد هذا الجمهور للقضية واستجابته لما يراد منه ويقل في نفس الخطيب لما يدعو إليه من حماس بين نفوس السامعين.

وهذا يستدعي من الخطيب أن يكون ذا ثقافة واسعة، جذابا بأدائه ولغته سريع الخاطر نافذ الحجة. قادرا على تقليب الأفكار على مختلف وجوهها، ليتوصل إلى تنسيق خطبته، وتوسيع الأفكار التي يحاربها، وينجح بطريقة عرضها كي

الخطيب مقومات النجاح في جانبي الإعداد والتحضير (الأدلة والبراهين والحجج - التنسيق من المقدمة والعرض والخاتمة - إختيار من للموضوع).

ثم لا يظهر هذا الإعداد بأداء أو إلقاء خطاب جيد أي انتهاء المعلومات إلى أذهان وقلوب المستمعين فقد تضيع فائدته ولا يخرج السامع إلا بقليل الفائدة وعليه وبعد هذا المدخل أجد نفسي بين مصطلحين الأداء الخطابي والأول والثاني الناج⁽¹⁾ وكما يقول أهل اللغة المعروف لا يعرف فأقول وبالله التوفيق:

مفهوم الأداء أو الإلقاء الخطابي:

كثيرا ما يتدخل عند ذكر الأداء مصطلح الإلقاء وهذان المصطلحان يتداخلان تداخلا ملحوظا حتى يصلاني بعض الأحيان حد الترادف اللغوي.

- يقول العلايلي: في تعريف الإلقاء (الأداء المتعلق بمخارج الحروف وتكييف الصوت حسب المقامات وإنطاق الإشارة بالمعنى أي تجسيده فيها، قالوا: " هو جيد

الإلقاء من الإفضاء "

وجاء تعريف الأداء في دائرة المعارف للبستاني:

الأداء في الخطابة: " إلقاء الخطبة بما يليق من حسن اللفظ ومرافقة الصوت وحركات الجسم "

الأداء في البيان: " إعطاء العبارة حقها لتفي بإظهار المعنى على الوجه الموافق من الفصاحة والبلاغة " .

وجدت تعريف الأداء في معجم

المصطلحات:

الأداء: " إخراج الحروف من مخارجها أثناء الكلام " .

وقد حصرت بعض المراجع المتخصصة بفن الإلقاء .

الإلقاء في طرق الإبانة كلامية ولاسيما الإخراج الصوتي للنصوص .

يقول الوارث عسر في الصدد الإلقاء هو فن النطق بالكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه .

وتوضيح اللفظ: يتأتى بدراسة الحروف الأبجدية عن مخارجها وصفتها وكل ما يتعلق لتخرج من الفم سليمة كاملة لا يلبس منها حرف بحرف، وبذلك لا

تلتبس الكلمات ولا تخفي معانيها على السامعين وتوضيح المعنى يتأتى بدراسة الصوت الإنساني في معادنه وطبقاته دراسة موسيقية تتيح للدارس أن يتنغمه بما يناسب المعاني، فتبدوا واضحة مبينة جميلة الوقع على أذان السامعين.

أما مصطلح الأداء: فهو يتعلق بطرائق الإبانة والتعبير لغة وصوتا وحركة ليحمل هذا المصطلح طابع الشمولية والعموم ليستغرق بذلك الإلقاء والترتيل والقراءة الجهرية والأداء التمثيلي...

وخلاصة القول ما ذكره البستاني في دائرة المعارف.

الأداء لغة: الإيصال ومنه أداء الشيء: إيصاله إلى فلان أو إلى مكان معين، وأداء التحية وأداء الرسالة وأداء الخير أي نقله من المرسل إليه.

في علم القراءات: النطق بحروف القرآن على أصوله من التفخيم والتلين وسائر متطلبات التجويد.

في البيان: إعطاء العبارة حقها لتفي بإظهار المعنى على الوجه الموافق من الفصاحة والبلاغة.

في الخطابة: إلقاء الخطبة بما يليق من

حسن اللفظ وموافقة الصوت وحركات الجسم، وبحسن الأداء ينقل الخطيب إلى نفس السامع مشاعره ويحرك أهواءه ويجذبه إلى حيث يقصد، وجودة الأداء الخطابي تستدعي ما يلي:

1- تذكر الخطيب في الحال ما يريد أن يبينه من المعاني.

2- إيصالها - المعاني - إلى السامعين بالصوت الخاص.

3- الإشارة تؤيد الكلام وتزيد المعاني وضوحا وبذلك يصل إلى المقصود من قلوب الحاضرين.

عوامل نجاح الأداء الخطابي:

يتطلب الأداء الخطابي لنجاحه ما يلي:

❖ الذاكرة ❖ حسن اللفظ

❖ الصوت ❖ الإشارة الخطابية.

الذاكرة:

يحتاج الخطيب إلى ذاكرة قوية متفرسة ملهمة ويأتي هذا بالاستقامة والإخلاص في الفهم ليتمكن من أداء رسالته. لأن الذاكرة الضعيفة تنسى كثيراً من التعارف. فقد يكون الخطيب مثقفا عزيز المادة واسع الإطلاع. ومع

ذلك إذا صادفه موقف حساس أرتج عقله وخانته ذاكرته.

فالذاكرة قوة يقتدر بها على استحضار المعاني والمحافظة عليها قوة تتمكن بها النفس من حفظ المعاني التي يدركها العقل وما أحوج الخطبة إلى ذاكرة سريعة. لأن الخطب عادة تلقى عن ظهر القلب فإن خانته ذاكرته تلغثم واضطرب وبالتالي يسقط من عيون السامعين فالذاكرة الضعيفة قد تؤدي بصاحبها إلى العي والحصر⁽²⁾.

العي: العجز عن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود وعدم الاهتمام لوجه المراد والعجز عن أدائه.

الحصر: العي في النطق وعدم القدرة على الكلام.

وعلى الخطيب أن يخلص من هذا بطرق عدة ومن أمثلة هذه المواقف وكيف تخلص منها أصحابها ما يلي:

فهذا عبد الله بن عامر ولأن عثمان رضي الله عنه قدم البصرة فوقف يخطب يوم عيد الأضحى، فأرتج عليه. فمكث ساعة لا يتكلم ثم قال: لا أجمع عليكم عيا ولؤها. من أخذ شاة من السوق فهي له

وثنمها علي.

وهذا يزيد بن أبي سفيان ولاه أبو بكر رضي الله عنه الشام فلما وقف يخطب الناس أول خطبة له حمد الله تعالى فأرتج عليه. فسكت ثم عاد إلى الحمد فأرتج عليه ثم عاد إلى الحمد... فلما طال الموقف قال:

يأهل الشام أعسى الله أن يجعل بعد عسر يسرا، وبعد عي بيانا. وأنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال ثم نزل.

وهذا ثابت فإنه صعد المنبر فقال الحمد لله. فنزل وهو يقول.

فإن لا أكن فيهم خطيبا فإنني بسيفي إذا جد الوعظ لخطيب فقيل له: لو قلتها وأنت فوق المنبر لكنت أخطب الناس.

طرق العناية بالذاكرة وتقويتها فيم: وذكر علماء النفس أن ما يغذي الذاكرة ويقومها ثلاثة طرق وهي:

- ❖ التركيز
- ❖ التكرار
- ❖ الترابط

الطريقة (1) التركيز: تعتمد على التركيز عند القراءة حتى لا تنفلت منه الجمل وتضيع. ومن ثم لا بد

عند القراءة من:

● استحضار المعنى عند قراءة الكلمات.

● ترتيب الأفكار حسب ورودها في الألفاظ.

● القراءة بصوت مرتفع حتى تشترك حاستان في التقاط المعنى السان والأذن.

فيمدان العقل بالمعاني وهذا يؤدي إلى تحسين الذاكرة.

● تسجيل ما يقرأ - فالحقول تعتمد على رواية المكتوب أكثر من المسموع - في جمل قصيرة يتكون منها ملخص الموضوع.

الطريقة (2) التكرار: وهو أمر طبيعي لتقوية الذاكرة ومقاومة النسيان والمسلمون لا يحفظون كتاب الله تعالى إلا بهذه الطريقة.

والتكرار ينبغي أن يصاحبه التركيز لأن العقل الباطني يكون مشغولاً بين فترتي التكرار بتكوين ترابطات أكثر صماتاً بين المعنى والمناسبة مع ضرورة النظر في الموضوع قبل إلقائه.

الطريقة (3): وهذه الطريقة مهمة لدى الخطيب إذ بها يتذكر نقاط موضوعه ويربطها شيء موجود في العقل حتى يسهل شرحها وإلقائها مترادفة مترابطة. وإذا كان لعلم النفس طرق في تحسين الذاكرة والعناية بها فإن العلم هبة إلهية من الله سبحانه وتعالى ومن ثم قال الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: شكوت إلى وكيع سوء حفظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي وأخبرني بأن العلم نور

ونور الله لا يهدى لعاص وباهتمام الخطيب بذاكرته وتقويتها يكون قد قطع شوطاً في تحصيل الأداء الخطابي وبهذا يكتب له النجاح والتوفيق في عمله إنشاء الله تعالى:

ثانياً - حسن اللفظ:

حسن اللفظ أو حسن التعبير والذي هو إبراز المعاني بأسلوب ملائم للخطبة للسامعين وللمتكلم.

وهذا التعبير شأنه في الخطبة عظيم لأنه كساء الكلام به تنال الخطبة رونقها وبهائها، كالثوب يزين لابس

وعلى الخطيب أن يدرك جيدا أن السامعين هم المقياس الصحيح لمستوى لغة الخطبة ودرجتها. فقد يكونون من خاصة المثقفين وبذلك يكون الأسلوب بليغا عاليا.

وإذا كانوا من عامة المثقفين كان الأسلوب بسيطا سهلا ميسورا ليحقق للخطيب إبلاغ موضوعه وليضمن لهم الفهم، فالكلمة سلاح فعال ولها تأثيرها الفعال والقوي في التعبير عن الأفكار، وبواسطته يستطيع المتحدث إقناع مستمعه.

ثالثا- الأصوات:

تشكل الأصوات في اللغة مادة الألفاظ وأساس الكلام المركب والعمدة في تلوين الأداء.

والصوت هو نعمة من الله تعالى على من يخطب وهو صفة ولهذا فإن إتقان فن الحديث واختيار الكلمات المختارة لإيصال الفكرة هي من الشروط المهمة في لغة الحديث والتعبير زيادة إلى الأداء. وهو صفة خلقية يتميز بها بعض

ويكسبه حسنا وجمالا. فإذا لم يراع الخطيب حسن التعبير واختيار الألفاظ فلا أثر له في إثارة السامع بل تبقى عواطفه مليئة لا حراك لها، فلا يندفع إلى العمل بما يقصد منه.

ويخضع ذوق التعبير واختيار الألفاظ بحسب ما يدعو إليه المقال من تقصير الجمل أو تطويلها ومن تكرار أو إيجاز أو إسهاب أو تلميح... زيادة إلى الألفاظ الخفيفة على السمع.

فالعناية الدقيقة بالعبارة تدل على جودة التفكير وبراعة التعبير وكلمات كانت الفكرة جميلة كان التعبير عنها أجمل قال الجاحظ (وأحسن الكلام ما كان قليلا يعينك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله. فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا من التكلف صنع في القلوب صنع التربية الكريمة).

4- الثاني في النطق وهو أمر لا بد منه للخطيب فالنطق السريع له عيوب منها:
أ - إنه يؤدي إلى تشويه المخارج وخلط الحروف بعضها ببعض.

ب- الإسراع يؤدي إلى أن يهمل الخطيب الوقوف عند المقاطع الحسنة.

ج- لا يعطي للسامع الفرصة لفهم ما يسمح وهذا ما يرجى من الخطبة.

بخلاف التمهّل فهو يعطي للسامعين فرصة الفهم والتأمل لما يقوله الخطيب ومن ثم كانوا يعتبرون أن من رباطة جأش الخطيب التمهّل في النطق.

وقال أبو هلال العسكري في الصناعتين (...). وعلامة سكون الخطيب ورباطة جأشه هدوءه في كلامه وتمهله في نطقه).

5- مراعاة معاني ومدلولات الكلمات، وكل معنى محتاج إلى نغمة صوتية معبرة فالإشفاق والتردد والفرح والخشوع والخوف والدعاء والتأثر والدهشة والشكوى والأمل...، كلها تحتاج إلى أصوات تناسبها.

6- تناسب صوت الخطيب وسعة المكان وعدد السامعين فلا ينخفض الصوت ليصير همسا غير واضح ولا مفهوم

الناس دون سواهم، فالصوت الجهير ذو الرنين الجميل الندي الحلو النغمة، العذب الترنم، الحسن التنغيم المؤثر ذو النبرة الموقعة في مكانها بشكل المادة الأساسية للأداء الخطابي.

والصوت الحسن من عدد الخطيب لا متلاك الجمهور وإسماعه لأنه يبحر ويبهر بحلاوة نغماته وحسن توقيعاته وعليه - الخطيب - أن يراعي فيه ما يلي:

1- سلامة النطق بأن تخرج الحروف من مخارجها الصحيحة.

2- البعد عن اللحن أو الوقوع فيه فيحرص على النطق بما يمليه علم النحو حتى لا يوقع السامع في عدم الفهم لما يتحدث به الخطيب.

3- أن يصور المعاني بالنطق الصادق، كأن يعطي لكل كلمة وعبرة حقها. - فالجمل المؤكدة ينطقها بشكل يدل على التوكيد.

- الجمل الاستفهامية تحظى بالنطق على شكل استفهام.

- وكذا في جمل التعجب.

- الإشارة يشغل السامعين عن المتابعة.
- 2- الإتيان بها في مواضعها الملائمة المتاحة إليها.
- 3- أن تجعلها موافقة للمعنى وسابقة له فيشير ثم ينطق.
- 4- عليه ألا يحجب على الناظرين وجهه بيده أو يعترض بها جسمه.
- 5- التحرز من الإتيان بالحركات المستهجنة وعن التنحنح والسعال وكل ما يدل على الضعف أو يورث الملل جاعلا من تأثر نفسه في صورته وحركاته دليلا على صدق كلامه.
- 6- جلوس الخطيب أو وقوفه بشكل معتدل بحيث تكون عضلات الحلق والفكين مرتخية حتى يستطيع أن يتنفس وأن يتكلم بسهولة.
- 7- ضرورة أن ينظر الخطيب إلى انتشار الجمهور في القاعة أو المسجد أمامه، وعلى يمينه وعلى يساره فيخاطبهم جميعا فلا يركز نظره على جهة دون أخرى، بل يجول بنظره فيهم فيشعر كل مستمع أن الكلام موجه إليه وأن الخطيب معني به ففي هذا احترام للسامعين، وبهذا يكتسب الخطيب ود الجميع.

- ولا يعلو بوتيرة واحدة ليصبح صياحا وصراخا منه الأذان.
- بل على الخطيب أن يوازن في هذا وأن يلاءم بين الصوت والمضمون.
- 7- وما بقي أكثر مما قيل.
- رابعا - الإشارة الخطابية؛

الإشارة الخطابية وهي حركات تبدو من الرأس واليد والمنكبين وملامح الوجه ونظرات العينين ومن شأنها تأييد الخطيب في خطابه.

ولها دور كبير لأنها تشارك النطق في نقل الفكرة وبالتالي كلما كانت في موضعها الملائم أثرت تأثيرا كبيرا إذ صوت الخطيب ومهما تغيرت نبراته لا يكفي للتغيير على العواطف كلها فهو في حاجة إلى الإثارة وإضافة إلى أنها تساعد الخطيب على :

- أ- التنفس ب - أخذ الراحة
- ج - إعلاء الصوت

وعلى الخطيب أن يراعي ما يلي :

- 1- الاختصار في الحركات والإشارات، فلكل حركة هدفها ووظيفتها وتوقيتها وتطابقها بتفاصيل الموضوع، فالإكثار من

وخلاصة القول واستثمارا لما تقدم:

فإذا اعتمد الخطيب أو راعى في أدائه المقومات الأربعة وهي:

❖ الذاكرة ❖ حسن اللفظ

❖ الصوت ❖ الإشارة الخطابية

وصاحب ذلك إخلاص لله تعالى باستشعاره قيمة أمانته ومدى حرصه وخوفه على مستمعيه كتب له النجاح والتوفيق زيادة إلى اطلاعه ومعرفته بنخطب المصطفى ﷺ وكيف كان يؤديها وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين، مع مراقبة الخطباء الممتازين

وتمرنه هو من حين لآخر وليس لنا أن نكلف الخطيب (الإمام) ما لا يطيق بل إنما نريده ونأمله أن يكون واعظا مرغبا ومرهبا محاورا مناقشا منتجا لا مستهلكا ناقدا ذا فكر بناء إيجابيا لا سلبيا غايته مرضاة الله عز وجل قدوته الرسول ﷺ مصدره الكتاب والسنة مقبلا غير مدبر، يعايش الحدث والوقائع باحثا عن الحقائق مؤصلا لها طامحا إلى غد أفضل، وكل ذلك من خلال خطبه الناجحة مضمونا وأداء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الهوامش

1- معروف

2- حصر حصرا: عيى في النطق وأصله من الحصر أي الضيق.